
دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية



العلاقات الدبلوماسية العربية البيزنطية
في العصر الأموي
دراسات في المشرق

د/ سليم مفتاح عبد العزيز(*)

المقدمة :

لم تكن العلاقات العربية الإسلامية البيزنطية وليدة العصر الأموي بل وجدت منذ عهد النبي ﷺ والعصر الراشدي، ولكنها اقتصرت على إرسال سفراء يدعون إلى الإسلام، أو رغبة الطرفين في العيش بسلام، وكانت هناك صدامات وحروب متعددة في بلاد الشام والجزيرة الفراتية أو في مصر أو شمال أفريقية، وتدخل هذه الأمور ضمن حركة التحرير والفتوح. ونحن هنا سنركز على العلاقات الدبلوماسية وهي الباب الذي سنطرقه في هذا البحث.

تبدأ العلاقات بين الأمويين والبيزنطيين منذ أن كان معاوية مؤسس الدولة الأموية واليا على الشام فبعد أن أرسل الخلفاء الراشدون اتصالاتهم بالجهات البيزنطية أشار هرقل إلى هذه الرسائل والرسل عندما كتب إلى معاوية رسالة يقول فيها إن الملوك قبلك كانت تراسل الملوك منا ويجهد

(*)عضو هيئة تدريس بقسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة عمر المختار – فرع طبرق
دكتوراه من قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة عين شمس.

بعضهم في أن يغرب على بعض أفتأذن في ذلك فأذن له فوجه إليه برجلين ربما يكون السبب في ذلك أن هرقل في تلك الفترة كان في مركز ضعف فأراد كسب الوقت[١].

روى ابن عساكر أنه عندما فرغ معاوية من تشييد قصره المعروف بالخضراء والذي أصبح فيما بعد دار الإمارة، وكان القصر مبنيا بالطوب وصادف ذلك وصول رسول بيزنطي وفد إلى معاوية الذي سأله كيف ترى هذا القصر؟ فأجاب السفير قائلا: أما أعلاه فللعصافير وأما أسفله فللفار وأيقن معاوية صحة انتقاد السفير وأعاد تشييد قصره من الحجارة[٢]. وقد فتشت في المصادر المتوفرة لدي عن مصدر هذا الخبر فلم أجد له أي إشارة مما يجعلني أتحفظ في قبول هذه الرواية.

وقد صالح معاوية الروم حين شغل بحرب أهل العراق على أن يؤدي إليهم مالا وارتهن منهم رهنا وضعهم ببعلبك[٣]. وبعد وفاة معاوية اشتدت الخلافات وظهر تأثيرها عندما تمكن الجيش البيزنطي من اجتياح الشام وكتب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان يتهدده ويتوعده ويحلف له ليعملن له مائة ألف في البر ومائة ألف في البحر أو يؤدي إليه الجزية، فضاق عليه الجواب[٤].

---

(١) المبرد، الكامل في الأدب، ج٢، دار الفكر العربي، القاهرة، لا ت، ص١١٤.

(٢) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير،ج١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت، ص٢٤٤.

(٣) البلاذري، فتوح البلدان، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧، ص٢١٨.

(٤) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج٣، مكتبة الخانجي، مصر،ط١، ١٩٣٣، ص١٧٦.

وكتب عبد الملك إلى الحجاج وهو إذ ذاك على الحجاز أن اكتب إلى علي بن الحسين تهدده ثم انظر ماذا يجيبك، فاكتب به إلي ففعل الحجاج ذلك فقال له علي بن الحسين إن الله في كل يوم ثلاثمائة وستين لحظة وأرجو أن يكفينك في أول لحظة من لحظاته، فبعث الحجاج بكتابه إلى عبد الملك فكتب به إلى صاحب الروم كتابا فلما قرأه قال ليس هذا من كلامه هذا من كلام عترة نبوته[1]. فاضطر عبد الملك إلى عقد معاهدة مع الإمبراطور مقابل دفع جزية مقدارها ألف دينار في كل جمعة لشغلهم عن محاربته[2]، وتحددت مدة المعاهدة بعشر سنوات، إلا أنه لم يستمر أثر هذه الهدنة سوى عام واحد إذ سرعان ما أفصح الخليفة عن نواياه بعد ما فرغ من مشاكله الداخلية[3]، إذ كانت البلاد العربية تأتيها مقادير من العملة البيزنطية بينما تحصل القسطنطينية على حاجتها من ورق البردى انطلاقا من مصر[4]، فلما جاءت مراسلات الخلافة ترد على الروم بأن يضعوا على العملة قل هو الله أحد وذكر النبي ﷺ مع التاريخ استنكر الروم ذلك وهددوا بنقش ما يكره المسلمون على القطع النقدية[5]. والحقيقة أن تهديد الإمبراطور البيزنطي

(١) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج٢، دار صادر، بيروت، ١٩٦٠، ص٣٠٤.
(٢) البلاذري، المصدر السابق، ص٢١٨.
(٣) وديع فتحي، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص٧٣.
(٤) إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الآفاق الجديدة، المغرب،ط١، ١٩٩٥، ص٢٤٨.
(٥) ابن الأثير، الكافي في التاريخ، ج٤، دار الفكر، بيروت، لا ت، ص٥٣. ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،ج٣، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لا ت، ص٤٤.

جستنيان الثاني لم يكن إلا عامل تعجيل من عبد الملك الذي أنشأ سكة بعد التهديد[1].

واشتهر من السفراء الأمويين عامر بن شراحيل الشعبي الذي اتصف بالشجاعة في إبداء آرائه وبالحذاقة، إذ أوفده عبد الملك إلى ملك الروم فأقبل على الإمبراطور يحادثه وسأله عدة أسئلة أجاب عليها الشعبي إجابات رائعة حازت إعجاب الإمبراطور الذي قال له بعد انقضاء ما بينهما أمن أهل بيت المملكة أنت؟ فقال الشعبي لا ولكني رجل من العرب[2].

وقد حسد الإمبراطور البيزنطي عبد الملك على هذا الرسول وعمد إلى الوشاية بينهما لكن فطن عبد الملك إلى حيلة الإمبراطور[3].

وعندما تولى الوليد الخلافة شرع في بناء جامع دمشق وكتب إلى عمر بن عبد العزيز أن يوسع مسجد النبي ﷺ ويدخل فيه حجرات أزواج النبي وأنفق على كل ذلك أموالا عظاما[4]، فبعث إلى ملك الروم يعلمه بذلك ويطلب منه المعونة ويسأله أن يبعث إليه ما استطاع من الفسيفساء[5][1].

---

(١) إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص٢٤٨.

(٢) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٣، دار الأندلس، بيروت، ط٥، ١٩٨٣، ص١١٧.

(٣) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج٦، دار الكتب، بيروت، لا ت، ص١٧٩.

(٤) المقدسي، البدء والتاريخ،ج٤، المكتب التجاري، بيروت، لا ت، ص٨٦.

(٥) الفسيفساء: ألوان من الخرز يؤلف بعضها إلى بعض ثم تركب في حيطان البيوت البيوت والقصور من الداخل كأنه نقش مصور وأكثر من يتخذه أهل الشام. الزبيدي، تاج العروس، ج٤، دار ليبيا، بنغازي، ١٩٦٦، ص٢٦٨، ابن منظور، لسان العرب، ج٦، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦، ص١٦٤.

فأرسل له مائة ألف مثقال ذهب ومائة عامل وبعث إليه من الفسيفساء بأربعين جملا فأرسل الوليد ذلك إلى عمر بن عبد العزيز(٢).

وعندما انتهى الوليد من بناء جامع دمشق احتفل به احتفالا عظيما ولا يزال شيء من آثاره شاهدا على تلك العظمة التي أصبحت مفخرة مأثرة لملوك بني أمية وحضر الاحتفال وفود بيزنطية فصرعتهم عظمته واستفزتهم أبهته، وكان الناس في حياته قد شغفوا بالعمارة(٣). وهنا قد يتساءل البعض عن السبب في بناء مسجد بهذه الفخامة التي لم يألفها المسلم، وعن هذا الإسراف؟ لعلنا نجد الإجابة على هذا التساؤل عند المقدسي إذ يذكر أن دافع الوليد لذلك هو خوفه من أن تصبح الشام بلدا للنصارى لما فيها من مبان انتشر ذكرها مثل كنيسة الرها وأنطاكية ولعل هذا ما دفع عبد الملك من قبله إلى بناء قبة الصخرة(٤)، وربما أراد الأمويون أن يضاهوا المثال البيزنطي في العمارة(٥).

وقيل إن الوليد سمع صوتا في بعض الأوقات فقال ما هذا؟ فقيل بيعة النصارى فأمر بهدمها وزادها في المسجد فكتب إليه ملك الروم أنك هدمت

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط١، ١٩٦٠، ص٣٢٦.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٨، مكتبة خياط، بيروت، ط١، لا ت، ص٦٧٧.

(٣) محمد الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، ج٢، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٨، ١٣٨٢هـ، ص١٦٨.

(٤) المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المثنى، بغداد، ط٢، ١٩٠٦، ص١٥٩.

(٥) هاملتون جب، حضارة الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤، ص٦٧.

الكنيسة التي رأى أبوك تركها فإن كان حقا فقد خالفت أباك وإن كان باطلا فقد أخطأ أبوك، فلم يدر بم يجيبه؟[1] فكتب إلى الكوفة والبصرة وسائر البلدان أن يجيبوه فلم يجبه أحد فوثب الفرزدق فقال:

أنا أبو فراس أصلح الله الأمير قد رأيت رأيا فإن يكن حقا فخذه وإن يكن خطأ فمني إذ أشار على الخليفة أن يرد على الإمبراطور بقصة سليمان وداود اللذين تعرضا للقضاء في إحدى المشاكل وأبدى فيها كل منهما رأيا دون أن يختلفا معا[2]، واستشهد الوليد في رسالته بالآية القرآنية ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[3].

وفي عهد الوليد أيضا حدث نزاع دار حول امتلاك بيت يدعى دار الفلفل[4]، إذ كان أسامة بن زيد التنوخي واليا على خراج مصر فابتاع من

---

(١) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، ج٣، المكتب التجاري، بيروت، لا ت، ص٥.

(٢) أحمد صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، ج٢، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٧.

(٣) سورة الأنبياء: آية ٧٧-٧٨.

(٤) دار الفلفل: وجدت هذه الدار بمصر وقد أطب"باء العرب في خواص الفلفل ومنافع معاجينه وقالوا إنه ينفع من برد المعدة والكبد وسددهما ويطيب النكهة وينفع من لدغ العقرب أكلا وطلاء وقالوا إنه يهضم الطعام وذكروا له غير ذلك من الخواص. اطلب فلفل، الأعلمي، دائرة المعارف المسماه بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر، ج١٨، مكتبة المثنى، بغداد، ط١، ١٩٦٨م، ص٩، البستاني، دائرة المعارف، ج٤، دار المعرفة، بيروت، لا ت، ص٥٤٤.

موسى بن وردان فلفلا بعشرين ألف دينار كان كتب فيه الوليد أراد أن يهديه إلى صاحب الروم فخزنه فيها.[1]

وعندما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة وردت بعثة من عشرة رجال من ملك الروم إلى دمشق فسألوا أن يسمح لهم في دخول المسجد فأذن لهم عمر وما أن استقبلوا القبلة فرفعوا رؤوسهم حتى نكس رئيسهم رأسه وخر مغشيا عليه وعندما سأله أصحابه عن شأنه قال: إنا كنا معاشر أهل الرومية نتحدث أن بقاء العرب قليل فلما رأيت ما بنوا علمت أن لهم مدة لابد أن يبلغوها[2].

وقد حاول عمر بن عبد العزيز إرساء مبدأ يقوم على حسن الجوار مع جيرانه عامة ومع بيزنطة خاصة على أساس من المبادئ الإنسانية وفق هذا المفهوم كتب عمر إلى اليون ملك الروم يدعوه للإسلام ووجه إليه عبد الله بن عبد الأعلى الذي كان يجيد الرومية فقال اليون ما تقول في المسيح: فقال روح الله وكلمته فقال: أيكون ولد من غير فحل فقال عبد الله في هذا نظر فقال أي نظر في هذا؟ إما نعم وإما لا فقال عبد الله آدم خلقه الله من تراب فقال إن هذا أخرج من رحم ثم قال أتعظمون يوما غير يوم الجمعة فقال نعم، فقال: وما ذلك اليوم أمن أعيادكم هو قال: لا بل هو عيد القوم

(١) رجب،المرجع السابق، ص٧٥، ٧٦.
(٢) ياقوت الحموي، معجم البلدان،ج٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ص٤٦٨.

كانوا صالحين قبل أن يصير إليكم ثم كتب اليون جواب إلى عمر فلما قرأه قال لعنة الله لقد كانت نفسي تأباه ولم أحسبه يجترئ على مثل هذا[١].

وعندما بلغ ملك الروم بأن عمر سقي السم أرسل إليه رأس الأساقفة وكتب إليه يعلمه حاله عنده وما يوجبه من الحق لمثله من أهل الخير وطاعة الله ويقول إنه قد بلغني أنك سقيت وقد بعثت إليك رأس الأساقفة وأطبهم ليعالجك مما بك فقدم عليه فقال له عمر ماذا عندك فقال أسقيك حتى أستخرج ذلك من عروقك فقال له عمر لو كان روح الحياة بيدك ما مكنتك من ذلك ارجع إلى صاحبك لا حاجة لي في علاجك[٢].

عرف عن الدولة الأموية حسن معاملتها للمسيحيين حتى وصل كثير منهم إلى مراتب عالية في الإدارة الإسلامية، وكان لصدى هذه المعاملة في الدولة البيزنطية أن بنت مسجدا في القسطنطينية يؤدي فيه الأسرى المسلمون ومن يفد من السفراء والتجار الأمويين طقوسهم عند حضورهم إلى العاصمة[٣]، وتنسب الروايات بناء هذا الجامع إلى عهد الإمبراطور ليو الثالث الذي شن حملة على الصور والتماثيل واتهمه البعض من خصومه بأنه يحاول التقرب من الدولة الإسلامية وأنه ذو عقلية عربية[٤].

---

(١) المبرد، المصدر السابق، ج٢، ص٢١٢.

(٢) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، المكتبة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٢٧، ص١٧٦.

(٣) المقدسي المعروف بالبشاري، المصدر السابق، ص١٧٤.

(٤) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، الدار القومية، القاهرة، ط٢، لا ت، ص٢٩٢.

قائمة المصادر والمراجع

(١) إبراهيم أحمد العدوي، الأمويون والبيزنطيون، الدار القومية، القاهرة، ط٢، لا ت.

(٢) إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر الأموي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط١، ١٩٩٥.

(٣) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار الفكر، بيروت، لا ت، ج٤.

(٤) أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب في عصور العربية الزاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٧.

(٥) الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، مكتبة الخانجي، مصر،ط١، ١٩٣٣، ج٣.

(٦) الأعلمي، دائرة المعارف المسماه بمقتبس الأثر ومجدد ما دثر، مكتبة المثنى، بغداد، د.١، ١٩٦٨، ج١٨.

(٧) البستاني، دائرة المعارف، دار المعرفة، بيروت،لا ت، ج٧.

(٨) البلاذري، فتوح البلدان، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت، ١٩٨٧.

(٩) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون،مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لا ت، ج٣.

(١٠) الدينوري، الأخبار الطوال، تحقيق عبد المنعم عامر، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة،ط١، ١٩٦٠.

(١١) الزبيدي، تاج العروس، دار ليبيا،بنغازي، ١٩٦٦، ج٤.

(١٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مكتبة خياط، بيروت، ط١، لا ت، ج٨.

(١٣) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز، المكتبة العربية، القاهرة، ط١، ١٩٢٧.

(١٤) ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق الكبير، تحقيق الشيخ عبد القادر بدران، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لا ت، ج١.

(١٥) المبرد، الكامل في الأدب، دار الفكر العربي، القاهرة، لا ت،ج.

(١٦) محمد الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية، القاهرة، ط٨، ١٣٨٢هـ، ج٢.

(١٧) مؤلف مجهول، العيون والحدائق في أخبار الحقائق، المكتب التجاري، بيروت، لا ت،ج٣.

(١٨) المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، دار الأندلس، بيروت، ط٥، ١٩٨٣، ج٣.

(١٩) المقدسي المعروف بالبشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مكتبة المثنى، بغداد،ط٢، ١٩٠٦.

(٢٠) المقدسي مطهر بن طاهر، البدء والتاريخ، المكتب التجاري، بيروت، لا ت، ج٤.

(٢١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦،ج٦.

(٢٢) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب، بيروت، لا ت، ج٦.

(٢٣) هاملتون جب، حضارة الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٤.

(٢٤) وديع فتحي عبد الله، العلاقات السياسية بين بيزنطة والشرق الأدنى الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٩٦.

(٢٥) ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٧٩، ج٢.

(٢٦) اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، دار صادر،بيروت، ١٩٦٠، ج٢.